طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

العدد: 649 □ 22 - 28 يناير 2015

حسن البهروتي الصحافي المنتج في بلجيكا لـ "الأيام":

درست السينما وقادتني الصحافة إلى أكثر مناطق الحروب خطورة (1/2)

يعمل حسن البهروتي اليوم منتجا سمعيا بصريا مقيما في بلجيكا. حلم بقيادة الطائرات فوجد نفسه يدرس السينما، ليعمل في النهاية في الصحافة التي قادته إلى إحدى أخطر شعبها، وهي المراسل الحربي. وقف على فظاعات الحروب في كوسوفو وأفغانستان ورواندا وغيرها، وكاد أن يفقد حياته من أجل نقل الحقيقة، وسيتحول إلى الإنتاج الوثائقي الذي لن يجد فيه الطريق مفروشة بالورود وهو يهتم بملف شائك مثل قضية الصحراء.

» حاوره: محمد السعدوني
mohamed.aboumajd@gmail.com

الصحافي حسن البهروتي

← من هو حسن البهروتي؟ وأين نشأ؟ وكيف قضى طفولته في الريف حتى الحصول على البكالوريا؟

■ رأيت النور بقرية "تفرسيت" المتواجدة ما بين الناظور والحسيمة، تلقيت التعليم الأولي بهذه القرية حتى مستوى الابتدائي الثاني ثم انتقلت إلى "ميضار" لدراسة السلك الأول إعدادي، ثم بعدها انتقلت إلى مدينة الناظور لمتابعة السلك الثاني من الثانوي، حيث حصلت على شهادة البكالوريا في ثانوية عبد الكريم الخطابي، وذلك سنة 1983.

ومنذ نعومة أظافري اعتدت الاعتماد على نفسي نظرا لظروفي العائلية الصعبة، حيث فقدت والدي وأنا عمري ثلاث سنوات ثم بعدها بسنوات فقدت والدتي رحمها الله، وقد تأثرت لفراقها كثيرا لأنها هي من علمنا مبادئ الصبر والمثابرة والاعتماد على النفس.

تعلمت الصبر أثناء التحصيل الدراسي لأنني كنت مضطرا في مرحلة الابتدائي أن أقطع كل يوم مسافة 6 كيلومترات ذهابا وإيابا للتحصيل المعرفي، كما كنت أقطع يوميا مسافة 18 كيلومترا ذهابا وإيابا مشيا على الأقدام في مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي.

لم أقض طفولة عادية كسائر الأطفال الصغار، بحيث كنت أستغل عطلي المدرسية الصيفية للاشتغال وجمع بعض المال لشراء الكتب والأدوات المدرسية للسنة الدراسية الموالية لأن الحالة المادية للعائلة كانت ضعيفة.

كنت دائما شغوفا بالدراسة والتحصيل، وكانت الدراسة بالنسبة لي الفرصة الوحيدة للانطلاق في الحياة لتحسين مستقبلي ومستقبل العائلة، وكان هذا نوعا من التحدي الشخصي لي صراحة لأنني كنت دائما أحلم بتحسين مستوى عيشنا وعيش حياة أفضل.

← بعد حصولك على البكالوريا سافرت إلى بلجيكا لمتابعة دراستك العليا .. طيب، كيف جاءت فكرة السفر إلى بلجيكا؟ ولماذا اخترت في البداية التخصص في دراسة المجال السينمائي؟

■ بعد حصولي على شهادة البكالوريا فكرت في الهجرة إلى بلجيكا من أجل الدراسة والبحث عن فرص أفضل، وكان الاختيار لعدة أسباب، منها أن بلجيكا بها العديد من المهاجرين المغاربة الذين يتحدرون من مسقط رأسي بـ "تفرسيت"، وكذلك نظرا لوجود الأهل والأقارب هناك كان من الأسهل أن أذهب إلى بلجيكا للدراسة عوض أن ألتحق بالدار البيضاء أو الرباط حيث لا نعرف أحدا.

منذ صغري كنت دائما أحلم أن أهاجر إلى بلجيكا لأن والدي رحمه الله اشتغل هناك في بداية الستينيات حتى وافته المنية سنة 1969، وكانت والدتي تحكي لنا بعض القصص التي حكى لها والدي عن بلجيكا وعن الهدايا التي كان والدي يأتي بها من بلاد الأراضي المنخفضة، بدأ الحلم عبر تلك القصص يكبر لأعانق بلجيكا حيث الخلاص بالنسبة لشاب يبحث عن حياة أفضل ومستقبل مشرق.

لما وصلت إلى بلجيكا كنت أنوي دراسة الطاقة النووية ولكن لم تتح لي الفرصة نظرا لفوات أوان التسجيل، ثم نصحني بعض الزملاء بالتسجيل في معهد الدراسات السينمائية رغم أنه لم تكن لي أي دراية بعالم الفن والسينما، وكذلك كان، بعدها اشتغلت مباشرة مع شركة في مجال السمعي البصري والإنتاج التلفزيوني في بروكسيل لمدة 7 سنوات، حيث كنا ننتج برامج تلفزيونية لعدة محطات وقنوات عالمية، وكان عملنا يرتكز على الاتحاد الأوروبي واللجنة الأوروبية وكذلك البرلمان الأوروبي .. لكن ما حز في نفسي هو أني لم أحقق حلمي بأن أصبح طيارا، وهو حلم راودني منذ صغري.

← كان حلم طفولتك أن تصبح طيارا لكنك درست السينما وحصلت على دبلوم في التخصص السينمائي .. لكن رغم ذلك لم تشتغل في السينما واخترت مجالا آخر هو الصحافة .. كيف؟ نريد أن نعرف قصة حسن مع عشق صاحبة الجلالة الذي ظهر فجأة ودون سابق إنذار؟

■ صحيح، فمنذ نعومة أظافري كانت تراودني أحلام كثيرة، إذ بعد حصولي على البكالوريا كنت أتطلع أن أصبح طيارا في المجال الحربي أو العسكري، وكنت مولعا بالطيارات، حتى إنني ورغم التحاقي بمعهد السينما اخترت أن أخوض تدريبا في الملاحة الجوية في شركة "صابينا" البلجيكية.

بعد حصولي على دبلوم في السينما راسلت عدة شركات ومؤسسات مختصة في الصناعات السينمائية لكن كانت أول شركة قبلت طلبي للقيام بتدريب خارج مجال السينما، إذ كانت شركة متخصصة في المجال الإعلامي، وخاصة المجال السمعي البصري وإنتاج البرامج التلفزيونية.

بدأت التدريب لكن بعد نهايته طلبوا مني البقاء والاشتغال بصفة دائمة إذا أردت، فقبلت الطلب لأن الجو كان ملائما وربطت علاقات طيبة مع بعض الأصدقاء الصحفيين والإعلاميين من شتى أنحاء العالم، وهكذا بدأت علاقتي بصاحبة الجلالة.

كان العمل يرتكز على إنتاج قصص إخبارية للعديد من القنوات الأجنبية الأوروبية وكذلك الأمريكية خاصة، وعلى سبيل المثال كنا ننتج برامج للتلفزيون الألماني "زد فو ارد" والتلفزيون البريطاني الشهير "بي بي سي" وكذلك العديد من المحطات الأمريكية الشهيرة وخاصة "سي إن إن"....

وهكذا بدأ العشق مع هذه المهنة لأنها لا تقيدك وتتركك تسبح في عالم من المعلومات والأخبار المختلفة وتحاول أن تصنع قصة ربما بطريقتك الخاصة و تريد إيصالها إلى العالم في أسرع وقت ممكن .. المهنة فيها نوع من التحدي اليومي للأحداث والزمن بالإضافة إلى المستجدات اليومية أضف إلى ذلك الاحتكاك اليومي بعالم التكنولوجيا والمعلوميات.

← بداية اخترت التدريب الصحفي في محطة إخبارية، وهناك بدأ هذا العشق يزداد من خلال الاشتغال على القصص الإخبارية وسبر أغوار عالم الصحافة المهنية والمحترفة، حدثنا عن تجربة البداية؟

■ كما قلت سابقا بعد نهاية التدريب طلب مني البقاء والاشتغال بصفة نهائية في المحطة كمنتج للأخبار والاهتمام بقسم الشرق الأوسط في الوكالة، بحكم أنني كنت الوحيد الذي يتقن اللغة العربية، وكنت أهتم بالقصص التي لها علاقة بالعالم العربي والإسلامي كالهجرة والعلاقات الاوروبية العربية والاسلام والفن والرياضة.

اشتغلت في الوكالة لمدة 8 سنوات اكتسبت فيها تجربة مكنتني من أن أنطلق بسهولة في عالم التلفزيون والإنتاج ومن الاشتغال مع عدة محطات تلفزيونية كالتلفزيون الألماني والبلجيكي والفرنسي ..

← قمت بتغطية العديد من الأحداث العالمية الساخنة في العديد من الدول مثل رواندا وكوسوفو وأفغانستان وأحداث البلقان وصربيا .. كيف كانت هذه التجربة؟ قربنا أكثر من الصحفي المغربي حسن الذي غطى هذه الأحداث والحروب لكبريات المحطات العالمية؟

■ كان عملي يرتكز على تغطية الأحداث السياسية الأوروبية، وموازاة مع ذلك كانت أوروبا تشهد أحداثا سياسية يومية هنا وهناك وكنا نتابعها باستمرار .. فجأة جاءت بعض الأحداث العالمية التي طغت نوعا ما على أوروبا وارتأينا أن نتابعها لنقلها

البهروتي في مطار كوسوفو لتغطية الحرب بين كوسوفو وصيربيا

بالصوت والصورة لشتى أنحاء العالم .. كانت أول تغطية لي في الحرب في دول البلقان، إذ تم اعتمادي من طرف الوكالة لتغطية الحرب في صيربيا والبوسنة .. غطينا هناك المعاناة الإنسانية بالنسبة للمسلمين بحكم أننا كنا نشتغل لحساب محطات خليجية .. وكذلك قمت بتغطية أحداث كوسوفو سنة 1999 منذ اندلاع الحرب بين كوسوفو والصرب وحتى نهايتها، أي حتى عودة اللاجئين إلى ديارهم، وفي حقيقة الأمر كانت تجربة كوسوفو أكثر ألما بالنسبة لي، حيث عشتها عن قرب بكل مآسيها وآلامها ولم أنس صورها التي هزتني إلى اليوم.

مازلت أتذكر أننا كنا من بين الصحفيين الأوائل الذين تمكنوا من الدخول إلى كوسوفو بعد تحريرها وخروج الجيش الصربي من أهم المدن كـ "بريشتينا" و"بريزرين" و"جاكوفا" و"بيتش"، أتذكر جيدا أننا عند دخولنا إلى مدينة "بيتش" التي تبعد بـ 100 كيلومتر عن "بريشتينا" ذهلنا لأننا وجدنا مدينة أشباح مدمرة عن آخرها، بدأنا في تصوير الدمار والخراب الذي قام به الجنود الصرب، وأثار انتباهنا منزل وحيد بين الدمار مازال واقفا وعندما ركزنا بعدسة الكاميرا على المنزل وجدنا أن صاحبه علق عليه صليبا، مما يدل على أنه صربي، وأن المنازل التي هدمت كلها في ملكية المسلمين، وأتذكر جيدا أن التقرير والصورة التي تم بثها على عدة قنوات غربية وعربية أحدثا ضجة كبرى في الساحة الإعلامية والسياسية، وهذا شيء يثلج صدر الصحافي لأن من أهدافه إثارة الانتباه وخلق ردود الأفعال وسط الجمهور والمشاهدين.

← أثناء قصف حلف الناتو لكوسوفو كنت هناك وأحسست فعلا لأول مرة بأن حياتك مهددة لغياب ماء الشرب ولقوة الحرب، حتى إن الفندق الذي كنت فيه كان يهتز من قوة الضربات .. حدثنا عن هذه التجربة؟

■ حرب كوسوفو قمت بتغطيتها منذ بدايتها إلى نهايتها لمدة 6 أشهر مسترسلة، أحسست فعلا حينها أن حياتي مهددة لأكثر من مرة لكنني بدأت أتعود على الأمر، ومازلت أتذكر أنه في إحدى المرات وبينما كنا في فندق في مدينة على الحدود مع صربيا تدعى "كوكش"، كنا نياما وكانت الساعة تشير حينها إلى الثانية بعد منتصف الليل حين بدأ الناتو يصوب ضرباته القوية حتى أحسسنا بأن الفندق سيسقط من قوة الضربات والاهتزاز، هرولنا إلى الخارج بقمصان النوم نصف نيام، وكان نور الكهرباء قد انقطع فجأة وعم الظلام الدامس كل المدينة، صفارات الإنذار تهز المكان وضربات جوية قوية تزداد اشتدادا، وبسبب انعدام الكهرباء كان يستحيل أخذ الصور وأصبح تأمين الحياة سؤالنا الأول .. قالوا لنا بأن جنود الصرب هربوا إلى صيربيا، وإن الناتو سيدخلون، انتظرنا حتى دخلت القوات الألمانية وذهبنا معها إلى "بريشتينا"، كانت كل قوة من قوات حلف الناتو تؤمن حيا معينا أو مجموعة أحياء، وقد كنا تحت حماية القوات البريطانية .. وكما يعلم الجميع ففي تغطية الحروب حياة الصحافي تبقى دائما مهددة .. ومرة كان معنا سائق مستأجر وبينما كان يمر في حي عهد تأمينه للقوات البريطانية رفع فجأة من السرعة إلى درجة أن عجلات السيارة أحدثت غبارا جراء احتكاكها بالإسفلت، استوقفتنا دورية للقوات البريطانية والرشاشات في وجوهنا، نزلنا من السيارة وقاموا بتفتيشها وطلبوا منا بطائق الهوية وأخبرونا أنهم كانوا يستعدون لإطلاق النار على السيارة لو زاد السائق في السرعة أمتارا قليلة أخرى.

كنا نقيم في فندق بريشتينا في حي مخصص للصحافة، فندق ليس فيه ماء والكهرباء مقطوعة، كنا نعمل بالمولد لإرسال المواد الصحفية والصور، وكنا نقوم بشحن البطاريات بالمقابل، وحتى الماء نشتريه بأثمنة غالية، كانت ظروف التغطية جد مزرية، الفندق لم يكن سوى غرف وأغطية، فليس هناك مطعم ولا مقصف ولا موظفو الاستقبال وحتى المراحيض لم تكن نظيفة بسبب هروب عمال الفندق جراء الحرب الطاحنة.

← سافرت إلى أفغانستان لتغطية الأحداث هناك عقب انهيار حكم طالبان، وكنت ضمن الصحفيين الأوائل الذين تمكنوا من الدخول إلى كابول .. حدثنا كيف دخلت أفغانستان بعد اعتقالك في أزبكستان؟ وكيف كانت تجربة تغطية حرب من قلب الحدث؟

■ أنا ومجموعة من الصحفيين العرب، وكنت حينها أمثل وكالة "أسوشيتد بريس" قسم الشرق الأوسط، كنا نعتزم دخول أفغانستان عبر أزبكستان، ولم تكن لدينا تصريحات الدخول، وتم توقيفنا ليومين، وبعد التحقيق معنا أمرونا بالرجوع لباكستان من حيث دخلنا.

ونحن في الطريق للعودة إلى باكستان التقينا بعض المهربين المحترفين الذين أكدوا لنا بأن باستطاعتهم تأمين دخولنا أفغانستان، بل والوصول إلى العاصمة كابول .. ودخلنا أفغانستان عبر المهربين، وكنا نمتطي الحمير، وكم كان منظرنا مضحكا ونحن فوق ظهر الحمير ممتطين معدات ولوازم التصوير الكبيرة، ومنا من كان يجر معه معدات الإرسال وأجهزة التلفاز واللاقط، لما عبرنا الحدود بين باكستان وأفغانستان قمنا بكراء سيارات التهريب السريعة للوصول إلى كابول بعد أن تخلى عنا المهرب الوسيط .. عندما وصلنا إلى كابول كانت قد انهارت كليا بعد أن دخلت القوات الأمريكية عقب ضربات 11 شتنبر والحملة الأمريكية على نظام طالبان .. وجدنا كابول مدينة ترقد في العصر الحجري لا مظهر من مظاهر الحياة العصرية، مدينة بدوية ميتة لا حياة فيها .. أطفال في ظروف مزرية ونساء مختفيات في البرقع، أصبحت المدينة تحت مراقبة القوات الأمريكية، كانت أمريكا هي الموجه لنقل كل الأخبار في كابول ولا يمكن نقل القصص الإخبارية إلا بإشراف أمريكي ومراقبة القوات الأمريكية، إذ يستحيل التنقل بدون خفر هذه القوات التي كانت الوحيدة في الساحة التي يمكن أن تؤمن نقل وتنقل الصحفيين في فضاء خطير مليء بالمخاطر بسبب الحرب الطاحنة بين حكم طالبان المنهار والقوات الأمريكية، خصوصا وأن بعض الأحياء والمحافظات كانت ماتزال تحت السيطرة الكاملة لمقاتلي طالبان، قضيت أسبوعا في أفغانستان وقررنا المغادرة أمام اجتياح قناة "الجزيرة" وتفوقها في نقل الأحداث في أفغانستان، وكانت حتى كبريات الوكالات تأخذ القصص الإخبارية عنها لأن نظام طالبان كان يعطي الأسبقية في التغطية والسبق الصحفي للجزيرة ..

التغطية في أفغانستان كانت ذكرى لا تخلو من طرافة، فمازلت أتذكر قصة قمت بتغطيتها، وهي ظهور السيديهات لأول مرة في الأسواق في كابول وتهافت الأفغانيين على الأفلام والهواتف النقالة وألعاب الفيديو، لقد كانوا سعداء باكتشافهم منافع التكنولوجيا حقا.

البهروتي أثناء تغطية زيارة وزير الفلاحة أخنوش لبلجيكا لفائدة 2M

البهروتي يتوسط مسلمي - رواندا أثناء تغطيته للحرب الأهلية هناك